

بلاغة اللغة في قصيدة "تعليم البنت" للعلامة

(محمد البشير الإبراهيمي)

The rhetoric of language in the poem "Taalim elbint"
by the scholar
"Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi"



أ. بن حليس هدى ♥

تاريخ القبول: 2023-12-28

تاريخ الاستلام: 2023-08-11

ملخص: تميّز العلامة (محمد البشير الإبراهيمي) عن غيره بأن له قدرة عالية على إقناع القراء في مجالات العلم والمعرفة والدين كما شمل حيز الشعر أيضاً، بما يتوقّر عليه من قدرات لغوية. ولأنّ الشعر يعتبر النموذج الثقافي الذي يرتبط بأسرار النفس البشرية بتجاربها المختلفة وبعد الأكثر قدرة على التأثير في المتلقي وقع الاختيار على قصيدة "تعليم البنت" بحيث يهدف المقال إلى الوقوف على الوسائل البلاغية المساعدة على الإقناع والتأثير في إطار الدعوة إلى تعليم البنت بأسلوب يتمشى مع الوضع المتشدّد عند علماء نجد اتجاه تعليم المرأة الناتج عن الفتاوى الصادرة آنذاك. وقد شكّلت القصيدة ثورة فكرية نجحت في بث روح الحماس للقضاء على ظلمات الجهل كنتيجة لهذه الدراسة.

♥ جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: [houda.benhali@univ-](mailto:houda.benhali@univ-msila.dz)

[msila.dz](mailto:houda.benhali@univ-msila.dz) (المؤلف المرسل).

كلمات مفتاحية: البلاغة؛ اللّغة؛ محمّد البشير الابراهيمي؛ المتلقي.

Abstract: The scholar (El-Ibrahimi) distinguished himself from others in that he had a high ability to convince readers in the several areas. He also included well with its linguistic capabilities the field of poetry as. And chose poem "Taalim elbint" So that article aims to stand on rhetorical means to help influence In the framework of the call for educating girls in a manner that is in line with the strict position of scholars, we find the tendency to educate women resulting from multiple fatwas issued at that time.

The poem succeeded in spreading the spirit of enthusiasm to eliminate the darkness of ignorance as a result.

Keywords: Rhetoric; the language; El-Ibrahimi; recipient.

1. مقدّمة: قوّة البلاغة تكمن في ارتباطها بالإقناع، وعادة ما يكتسب النّص الأدبي مكانته عندما يحقق صدى لدى الجمهور، فيخرج من كونه مجرد كلمات متراسة، إلى اعتباره مؤثراً اجتماعياً، ذلك أنّ الهدف من النّصوص هو "إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثر لمقتضاه" ¹ (حازم القرطاجني، 1981)، ممّا يشترط توقّر المبدع على الاستعداد الكافي لمواجهة جمهوره من خلال إدراكه لمتعلّقاتهم لغوياً واجتماعياً وذهنيا وثقافياً ونفسياً خاصّة إذا تعلق الأمر بالمستقبل العربي الذي تشارك في تحديده المرأة المثقفة في زمن كثرت فيه الفتاوى التي تسمح بتلقيها القدر القليل فقط من العلوم والمعارف وتمنعها من الولوج في شتّى فضاءات المعرفة. وهذا ما دفع العلامة "محمّد البشير الإبراهيمي" إلى تأليف قصيدة "تعليم البنت"، ومعلوم أنّ النّص الشعري "ليس نقل تجربة ذاتية فحسب، إنّّه يهدف إلى الحث والتّحريض والإقناع ويسعى أيضاً إلى تغيير الوضعيات والسلوك والمواقف، يتوقّر الإقناع في الأسماء والأفعال والحروف والصفّات، كما نجده أيضاً في التراكيب النحويّة

والصّور البلاغيّة، إذ كلّما كان الشّاعر صادقاً في معاناته رامياً إلى التّخاطب والتّواصل مع الآخرين وله غاية وهدف محدّد يرمي إليه كلّما كان شعره أكثر حاجيّة، يشترط تحقّق انسجام النّص العنوان والبنية الهيكلية للنّص باحتوائها آليات بلاغيّة وأخرى منطقيّة تشد أجزاءها² (حازم القرطاجني، 1981).

فما هي الوسائل البلاغيّة التي استعان بها البشير الإبراهيمي للتأثير في علماء نجد المتشدّدين آنذاك؟ وكيف عبّر عن مطالبه؟ وقد تبصر الشّاعر في كيفة صياغة مفاهيم جديدة للواقع العربي العام في كل زمان ومكان، وتبريرها وشرحها ورفعها في نص شعري طويل، مرتقبا استجابة العلماء لمضامينها. وقد تم الوقوف في هذا المقال على وسائل اللّغة البلاغيّة في القصيدة، استنادا إلى الوصف والتّحليل مع الاستعانة بآليات المنهج الأسلوبي التّعبيري.

2. مفهوم البلاغة وعناصرها:

مفهوم البلاغة: البلاغة لغة تنبئ عن الوصول والانتهاء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ - يوسف: 22 - أي وصل. وهي اسم مشتق من فعل بلغ، بمعنى أدرك الغاية أو الوصول إلى النّهاية. وهي مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، والمبالغة في الأمر: أن تبلغ فيه جهدك وتنتهي إلى غايته، وقد سميت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب سامعه فيفهمه. ويقال بلغ الرّجل بلاغة، إذا صار بليغا، ورجل بليغ: حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ويقال أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه. والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلّم، وتسميتنا المتكلّم بأنّه بليغ نوع من التّوسّع، وحقيقته أنّ كلامه بليغ، فحذف الموصوف وأقيمت الصّفة مقامه.³ (ابن منظور، د. ت).

أمّا اصطلاحاً: فتعني «الوصول والانتهاء»⁴ (أبو الهلال العسكري 1952) سمي هكذا لأنّه «بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلّم إلى الإفصاح عن جميع

مراده، مُشتملاً على ما يعين على قبول السّامع له ونفوذ في نفسه»⁵ (محمّد الطّاهر بن عاشور، د.ت) لأنّها "قبل كل شيء أسلوب يسمح للشّخص الذي يمتلكه أن يصل إلى الهدف المرغوب في إطار الحالة الخطابيّة، لذلك يشترط أن تكون لديه القدرة على إقناع القارئ بصحة قضية ما بشكل يُفعل النّص، ممّا يتطلّب منه معرفة خصائص الكلام⁶ (Oswald Ducrot et zvetan). (Todorov, 1972) والمقصود هنا حسن العرض والقدرة على التّعبير عمّا في النّفس، وبهذا الإقناع تبرز فنيّتها التي تجذب المتلقي.

2.2 عناصرها: تتحدد بلاغة النّص على مستوى الألفاظ والتراكيب من خلال علم المعاني والبديع والبيان فأما الأوّل فيختص بالمعاني والثّاني فيه ما يرجع إلى اللفظ (جناس وسجع) ومنه ما يتعلّق بالمعنى (الطباق)، ومنه ما يتعلق بالتّركيب (المقابلة والتّوازي) وبالنّسبة للبيان فهو: "ما بين به الشّيء من الدّلالة وغيرها، ... وهو إبلاغ المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن."⁷ (ابن منظور، د.ت) وهو يختص بدلالة التّراكيب ويشمل (التّشبيه، الكناية، الاستعارة).

3.2 شرح القصيدة: النّص عبارة عن أرجوزة موجهة لبعض علماء نجد استنهاضاً لهم على تعليم البنات واستئلافا لقلوبهم حتى تقبل بهذا الأمر المنكر في رأيهم.⁸ (أحمد طالب الإبراهيمي، 1997) فقد ثار غضب العلماء بعد إصدار أمر رسمي عن الملك "سعود" في المملكة العربيّة السّعوديّة في فتح مدارس لتعليم البنات⁹ (جريدة أم القرى، 1379) ممّا أدّى إلى إصدار فتاوى كثيرة تدعو إلى منع انتشار هذه الفكرة، يقول الشّيخ عبدالله بن حميد: "كثيراً ما نسمع كلمات حول تعليم البنات، وفتح مدارس لهن، وكنا بين مصدق ومكذب حتى تحقّق ذلك رسميّاً، فاستغربنا هذا، وأسفنا له غاية الأسف ... وإني أنصح لكل مسلم أن لا يدخل ابنته أو أخته في هذه المدارس التي ظاهرها الرّحمة

وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السّفور والفجور وسقوط الأخلاق والفضيلة.¹⁰ (مجموعة من العلماء، 1420) ثم يضيف محذرا من خطر تعلم البنات العلوم العلميّة الطّبيعيّة: "جاءنا خبر فادح ومصيبة عظيمة، وطامة كبرى، ألا وهي: فتح مدارس لتعليم البنات ... أيّها المسلمون: يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التّصريح الشّنيع الذي يقصد منه مجارة الأمم المنحلة في تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا، ما للنّساء وهذه العلوم، تضاف إلى ما يزيد عن أحد عشر درساً غالباً لا فائدة فيها، إنّها لمصيبة وخطر على مجتمعا.¹¹ (المرجع نفسه) ثم يؤكّد خطر تعليمها مرة أخرى بقوله: "إنّ تعليم المرأة سبب لتمردّها، وهن ناقصات عقل ودين.¹² (المرجع نفسه) وقد اختار "الإبراهيمي" الشّعْر بدل النثر لإدراكه بأنّه الأشد تأثيراً في النفوس خاصّة إذا تعلّق الأمر بعرب "نجد" فهم منبع الشّعْر الأصيل وثابتون على حبهم للشّعْر منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا. وقد عالج الموضوع من وجهة نظر الإسلام إلى التّعليم من خلال مقاييس وحدود. ويمكن تقسيم النّص إلى مجموعة من الفقرات الشّعريّة تتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة من المعنى، تتعقّد تدريجياً في الطّرح، ليبوح من خلالها بانشغالاته وآماله.

-المقدّمة: شكلت الجزء الأوّل من القصيدة، وقد تألّف من ست وأربعين بيتاً يتضح بأنّه يتفرّع إلى ثلاث مستويات، تناولت بالتّالي:

أ-امتدّ تقديم الشّاعر نفسه مفتخراً بمواهبه ومستواه النّقائي والعلمي الرّفيع من البيت الأوّل إلى البيت السّابع¹³ (المصدر نفسه) سرد مسيرته الفكريّة وكأنّه يعرض مقدّمة لمعالجة الموضوع، مبرزاً التّحام الطّرح مع الوضع الاجتماعي والنّفسي والفكري في المملكة العربيّة السّعوديّة بعد فتاوى علماء نجد المتعلّقة برفض تعليم البنات، فهو يسعى إلى توجيههم إلى النّور بدل ما يدعون إليه من

تجميد حق المرأة في الارتقاء بالتعليم بكل مجالاته، حيث قام بلفت انتباههم بفخره بقدراته الثقافية.

ب- ثم انتقل إلى ذكر فضل كل من أناروا دريه وكان لهم دورا فعّالاً فيما وصل إليه من علم وخلق، ومن بينهم هؤلاء العلماء الأجلاء، وقد احتاج في ذلك إلى ثلاثة وعشرين بيتاً أي من البيت الثامن إلى البيت الثلاثين،¹⁴ (المصدر نفسه).

اعترف الشاعر بفضل معلميه في تنوير بصيرته ومشيدا بقوتهم ونبوغهم في العلم والمعرفة، كما يذكر فضل "عبد اللطيف المرتضى" المفتي المعارض لتعليم البنت بشكل صريح ومباشر، مادحا له حتى يكسبه إلى صفه، فكان ذلك بمثابة تمهيد للدخول في الموضوع.

ج- ثم يؤكد على أهمية العلم، مبينا دوره الفعال في تحقيق الانتصار والرفي في ستة عشر بيتاً، أي من البيت الواحد والثلاثين إلى البيت السادس والأربعين،¹⁵ (المصدر نفسه).

أظهرت الأبيات قناعته بصحة وأهمية ما يدعو إليه، ويخاطب المفتي المعارض بشكل مباشر ذاكرة محاسنه وقوة العلاقة التي تجمع بينهما.

إذن حتى يتمكن الشاعر من الدخول في الموضوع احتاج إلى ست وأربعين بيتاً مع العلم بأن النص كله يحوي اثنين وسبعين بيتاً أي ما يعادل نسبة 63.8 بالمائة، كدليل على الجهد الكبير المبذول في هذا التقديم، مما يؤكد صلابه المتلقين الذين يؤمنون بفتواهم.

-الدّعاة: تتمثل في الجزء الثاني من القصيدة، قام الشاعر بالتحليل معتمداً على الأدلة والحجج التي تدعم قضيته، وقد تألف هذا الجزء من ستة وعشرين بيتاً، ينقسم إلى ثلاث مستويات، تضمنت بالتالي:

أ-الدعوة إلى حقها في التّعليم لغياب دليل يمنع هذا الحق بالإضافة إلى الاعتبار من الماضي الذي يؤكّد أهمّيته ثم عرج على أهم إيجابيات تعلّم المرأة انطلق في ذلك من البيت السّابع والأربعين إلى البيت الثالث والخمسين،¹⁶(المصدر نفسه).

يجهر الإبراهيمي بدعوته والأبيات السابقة تؤكّد مشروعيّة طلبه. ساعيا إلى رفع الظلم والتّخلص من الشّعور القهري الذي يمحو إنسانيّة المرأة، ويجعلها تعاني اغترابا من خلال عدم التّوافق بينها وبين ذاتها، ممّا يُغيّب انسجامها مع المجتمع.

ب-بعدها يستند إلى غياب دليل يمنع حقها في التّعلّم، كما أنّ حجة اختيار النّساء كن على معرفة في شتّى المجالات، فيقول من البيت الرابع والخمسين إلى البيت التاسع والخمسين¹⁷(المصدر نفسه).

تبين الأبيات تبعا لهذا التّصوير أهميّة التّعليم، فهو قيمة عظيمة من قيم الإنسانيّة لا يجب أن تتموضع على هامش الحياة مع توجيهه للمتلقّي بأن يأخذ العبرة من تجارب السّابقين التي تؤكّد أهميّة المرأة في مشاركة الرّجل في صنع المجد، فالقيم المتلى كانت من خصائص السّلف، ليوّقع بشكل يدلّ على الجهاد في سبيل العلم في كلّ جيل، فالأمم لا تصنع بالرّجال فقط لذلك يقال: وراء كل رجل عظيم امرأة. "فالأمّة كالطّائرة لا تطير إلّا بجناحين، هما الرّجل والمرأة، فالأمّة التي تخصّ الذّكر بالتّعليم تريد أن تطير بجناح واحد، فهي واقعة لا محالة."¹⁸ (المصدر نفسه).

ج-ثم بيّن الخطر من جهلها، من البيت السّتين إلى البيت الخامس والستون¹⁹(المصدر نفسه).

-النتيجة: وفي الأخير يصل إلى نتيجة طرحه، في الأبيات السبعة المتبقية يؤكد فيها بأن النهوض بمجتمع قوي وصالح لا يتم إلا بامرأة مثقفة تنشئ الأجيال المستقبلية الواعية²⁰(المصدر نفسه).

الدعوة إلى تلقين المرأة علوم الدين والأخلاق الفاضلة منذ الصغر، مما يمنع الكثير من المخاطر، ويرفض أن تكون الأنثى كائنًا ضعيفًا مهزومًا يستحكمها القمع وتسيطر عليها نوااميس سلطة الجهل إزاء الضغوط التي يمارسها عليه النظام السائد في المجتمع، مما يجعل لها وظيفة في الحياة لا بشقها المادي فقط بل تتعدى ذلك إلى ما هو حضاري وروحي. على اعتبار أنها مربية الأجيال ومنشأ الأبطال، فهو على بصيرة بما لها من وظيفة اجتماعية وتربوية عظيمة، كما يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعدتها *** أعدت شعبا طيب الأعراق

فمن المؤسف المحزن أن تكون الأم هي المدرسة الأولى جاهلة لا تعلم وناقصة لا تكمل، ومن المؤسف أكثر من ذلك، وأحزن أن يضاف إلى جهلها ونقصانها جهل الرجل ونقصانه، مما يبقي مدرسة الأسرة عاطلة كلياً... فلتكون الحياة هنيئة يجب أن يشمل التعليم الرجل والمرأة على السواء...²¹(تركي رابح، د.ت) فهو يدافع عنها على اعتبار مفاهيم متعددة تصب في مضمار واحد، هو هوية الفرد العربي، التي تساعد على ترسيخها المرأة المثقفة التي توعي أطفالها بمستجدات الواقع وأهمية فهم الأمور على وجهها الحقيقي، وتنمي الإرادة في ذواتهم ليحملوا لواء الحب والوفاء والرغبة بالارتقاء بالوطن، معلية من شأنها بجعلها محور كل العلاقات الاجتماعية، وهذا إدراكا منه، لما تمثله من رمز للمستقبل، وللأجيال القادمة، ومصدر روح الشخصية الوطنية التي يجب المحافظة عليها من كل من يحاول مسخ مقوماتها، فهو يرى بأن قضية تعليم المرأة مشكلة اجتماعية، وحضارية في آن واحد. كما يرغب

ويحثّ على اختيار ابنة العم والتي يقصد بها الفتاة العربيّة المتعلّمة على الأجنبيّة لما في ذلك من فوائد اجتماعيّة، وقد أدت الرّوح الوعظيّة، والنّبوة الخطابيّة إلى جعل النّص خطاباً مباشراً.

فبداية الشّاعر بطرح مسيرة حياته بما حملته من محطات علميّة هي التّمهيد لطرح الفكرة الأعمق والأشمل ليشرع المتلقي بأنّ ما جاء بهذه القصيدة ينطبق عليه، لتكون بناء متدرجاً، من أجل تشكيل المعنى الشعري الواعي لمسار فكر الشّاعر وتكويناته، ممّا تبرر شرعيّة دعوته التّثويريّة. فهذا التّدرج أدى إلى الإقناع وكسر الحواجز المتوقّعة عند المتلقي تجاه الشّاعر وموضوعه، كما أنتج كسباً لقلعه وعاطفته.

3. بلاغة اللّغة في القصيدة: حاول الابراهيميّ أن يوفق بين الجانبين العقلي والفنّي، ف "أحسن الكلام ما رق لفظه ولطف معناه، وقامت صورته بين نظم كأنّه نثر، ونثر كأنّه نظم."²² (أبو حيان التّوحّيدي، 2019) وهذا ما عبرت عنه مطولته "تعليم البنّت".

1.3 بلاغة اللفظ: يقال بأنّ البلاغة هي العلم الذي يحدد الشّروط والقواعد التي تسمح باستعمال شعريّة اللفظ في الإقناع والتأثير²³ (سعيد بوكرامي 2015) وقد انتقى الكاتب ألفاظاً كثيرة بسيطة استقاها من واقعه نحو: البشر السّحر الهوى، العشايا، الثّمّر، الطّهر، البصيرة، البصر،... يظهر تأثر الشّاعر بالقاموس الدّيني، فيه من معاني التّقدير لعلماء نجد شيء كثير وله أثر كبير وفي ذلك سبب لفتح قلبه وإيجاد جسر يسهل انتقال المطلب إليه، ممّا يوفر عوامل إنجاح الخطاب في التأثير بالمتلقي.

وممّا ورد من البديع في النّص التّصريح: يعرف بأنّه، "ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه"²⁴ (محمّد علي الشّوابكة وأنور أبو سويلم، 1994)، يدل استخدامه على كثرة المادة لدى الشّاعر²⁵ (الحسن بن رشيق القيرواني 2000)

وأكثر ما يهم منه في القصيدة هو طابعه السّجعي الموسيقي بتمائل الضّرب والعروض روبا ووزنا وحركة إعرابية، وقد استعمله الشّاعر في كامل القصيدة بأشكال مختلفة أكثرها ما اشترك فيه آخر كلمتين من شطري كل بيت في آخر حرفين مؤلفين لهما، نحو: (أثر، عثر)(ظهر، بهر)(قمر قمر)(زمر زمر)(شر أشر)(كدر، المنحدر)، محققاً في كثير من الأحيان وحدة معنوية وكثافة إيقاعية فهي مقاربة الدّالة يكمل بعضها بعضاً، وتتصل اتصالاً وثيقاً بوجوده، منتجا إحساساً واحداً ودقاً مميزاً، كما أدى تكرار صوت "الرّاء" التّكراري في آخر الوحدات كثافة صوتية تشد انتباه المتلقي، خاصّة مع تعدد المعاني التي تجنّب الشّاعر الرّتابة، فهو حيث ينتقل من خلاله من وضع لآخر، نحو: (الأشر البشر)(مزدجر، حجر)(هجر، الشّجر)(الحصر البصر)(عمر، الزّمر)(عشر البشر)(بشر، نشر)(الأبر، المعتبر)(هجر الحجر)(مضر، الحضر).

أظهرت تقنية التّرصيع قدرة الشّاعر على إحداث نوع من التّناسب بين الدّالة والإيقاع، من جهة، وبين عناصر بناء النّص وشكله من جهة أخرى ممّا أثر في المتلقي ولفت انتباهه، حيث تكمن حاجيّة الألفاظ في تناسق دلالتها²⁶ (عبد القاهر الجرجاني، 1978) فالشّاعر المصلح هو من يجعل لألفاظه ترتيباً حاجياً يتمشى مع الدّالة، ممّا يربط اللفظ بالمعنى فيتحقق التأثير.

-**الطباق:** يرجع إلى المعنى، وهو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة²⁷ (عبد الرّحمان القزويني الخطيب، د.ت)، ليؤكد الحقيقة بنفي النقيض، وممّا ورد في القصيدة هم شيعتي في كلّ ما أجدى وضرر/ تاريخها إلّا بأنثى وذكر/ ومعشري في كلّ ما ساء وسر/ وعصبتني في كلّ بدو وحضر/ تحمل ما يحمل من خير وشر/ تثمر ما يثمر من حلو ومر.

2.3 بلاغة التّركيب: فالنّص البليغ هو الذي يستطيع أن يحول الأشكال الصّوتية والتّركيبية والمجازية الاستعارية إلى عناصر أساس في بناء حاجيّة

للنص تكون قادرة في الوقت ذاته على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس والقلوب.²⁸ (سعيد بوكرامي، 2015) ويؤسس التركيب مفهوما للنظم يجمع بين النظر إليه كمكون نصي داخلي من المكونات البنيوية للنص، يأخذ بعين الاعتبار شعرية النظم وانزياحاته وانتهاكاته وألغائه. فيدخل في القصيدة نوعا من الإمتاع الإقناعي عندما يصور الشاعر واقعا يحقق للمتلقي لذة عقلية، فهو يؤثر فيه، مما يدخله ضمن دائرة الحجاج، حيث تتركز قوة التعبير في قلب اللغة الزامية إلى كسر المباشرة، والتي تعمل على توليد انزياحات شعرية تنتشر في عوالم النص كمتواليات عاطفية تربط التدفق الذهني بالصّور الجمالية. وقد برز بوضوح في القصيدة احتشاد الكثير من الصّور البيانية، فعبارة "بني عقول النّشء من غير خور" تشكل استعارة مكنية، حيث يشبه التعليم بالبناء وقد حذفه وترك لازمة من لوازمه تتمثل في فعل البناء، ويشير الشاعر في ذلك إلى أنّ النهوض بالوطن لا يكون إلاّ عن طريق العلم، ممّا يؤكد أهمية التعليم. ويعزز هذا المعنى البيت الموالي، بورود استعارة تصريحية في صدره، وتشبيهه في عجزه، يقول:

قَاد جِيُوشَ الْعِلْمَ لِلنَّصْرِ الْأَعْر * كَالسَّوْرِ يعلو حجراً فوق حجر**

حيث شبه النّشء بالجيش حذف المشبه وصرح بالمشبه به، معتبرا في ذلك بأنّ العلم أهم سلاح لتحقيق النّصر، أمّا العجز فقد أتى الشاعر بالتشبيه الذي يشكّل أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا،²⁹ (عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، 2002) وقد شبه العلم بالسّور الذي يكبر ويسمو حجرا فوق حجر، كما تأتي الإستعارة المكنية في شطري البيت الموالي:

والجيش محلول الزّمام منتثر * ما لم يسور بنظام مستقر**

ففي الصّدر شبه الجيش بشيء مادي يحذفه ويترك لازمة تدل عليه من خلال كلمتين هما "محلول، منتثر"، أمّا العجز فيوظف مرّة أخرى استعارة مكنية

يشبه فيها الجيش بالسور فيحذف المشبه به ويترك لازمة تدل عليه وكانت هذه اللازمة الفعل المبني للمجهول "يسور"، كإشارة إلى ضرورة اقتران العلم بالحكمة حتى لا تتقلب فوائده إلى أضرار، وفي قوله: "محنتك طوى الزمان ونشر" يستعير، حيث شبه الزمان بالملابس فحذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه تتمثل في الفعلين الماضيين "طوى، نشر"، على سبيل الاستعارة المكنية. كما يظهر تشبيه الشاعر في قوله: "والجيش أستاذ لنفع يدخر - والجيش أشبال ليوم ينتظر" فشبه الجيش مرة بالأستاذ ومرة بالأشبال مع حذف أداة التشبيه مما يجعل منه تشبيهاً بليغاً، يوضح الصفة المقصودة ويكشف عنها بإيجاز واختصار، وهذا التتالي يسهم في تعميق الحجاج بالإضافة إلى وضوح وجه الشبه سواء ما تعلّق بدور الأستاذ في بناء الأمم عن طريق العلم الذي يقدمه لحماية المجتمع من خطر الجهل، أم ما يميز الأشبال من قوة وشجاعة في مواجهة العدو لحماية الوطن من الظالمين، فلكل منهما قوة، وكل هذا في سبيل بث الحماس من أجل الاستفادة من العلم.

لقد تنوّعت الدلالات في الصور البيانية السابقة، يسهل على علماء نجد استخلاصها، لتقوم مقام الحجاج الذي يهدف إلى إحداث تغيير في نفوسهم وتوجيه فكرهم والتأثير على عواطفهم بتحريك همّتهم إلى تغيير الوضع، ممّا يكون طاقة بلاغية إقناعية، فيكون بذلك التركيب البياني ومعناه أقوى حججاً من القول الحقيقي العادي. وهناك المزيد من الصور البيانية في القصيدة تنوّعت أغراضها ودلالاتها.

- **المقابلة:** بما نهى محمد وما أمر - نسبتها في البدو وسكناها الحضر؛
- **التوازي:** ويمثل "مصطلحاً خاصاً بعلم الهندسة، يقال أنّه خط أو سطح بعيد بشكل مماثل لخط آخر أو سطح آخر بكل مداه³⁰ (Dictionnaire de L'Académie, 1978). وهو في الاصطلاح، ظاهرة بلاغية ذات نغم وإيحاء

تنشأ من تتابع متواليات لغوية «في هيكل نحوي محدد يحاول أن يرسم العلاقة بين النحو والأداء من جهة وبين النظم والممارسة الإيقاعية المتسلسلة المتواليّة من جهة أخرى»³¹ (عبد الله خليف الحياي، 2004). وقد استند الشاعر إلى تكرار تراكيب مستقلة في ثنايا النصّ بتبديل أحد عناصرها لتغيير المعنى، وقد ورد مثل هذا في البيتين الآتين:

وإنّها إن أهملت كان الخطر *** كان البلا كان الفنّي كان الضّرر

وإنّها إن علّمت كانت وزر *** أولا فوزر جالب سوء الأثر³²

(المصدر نفسه).

تردد الفعل الناقص "كان" بصيغة الماضي كأداة تساعد على بناء الموقف الدرامي، فالماضي يجسّد الألم والغياب والضّياع، وقد تم ربطه بأسلوب الشرط ليعبر من خلاله عن مستقبل خطير كنتيجة لإهمال المرأة، وآخر مضيء كخلفية لتعلمها بتبديل الفعل "أهملت" بـ "علّمت" فقد عكس المعنى الأوّل مشكلاً كثافة الدلالة وتماسك النصّ ليشدّ الجمهور إليه.

ويظهر التّوازي مرة أخرى في قوله:

واركب جواد الحزم فالأمر خطر *** فيا أخا عرفته عفّ النّظر

عفّ الخطي عفّ اللّسان والفكر *** ويا أخا جعلته مرمى السّفَر³³

(المصدر نفسه).

هذه المرة استقرّ التّوازي في عجز البيتين على عكس المرة السابقة أين وقع في صدري البيتين كما انتقل من الخبر إلى الإنشاء، وهذا تجنباً للرتابة، النّداء الغرض منه التّنبية، من خلال صوت المد، وفيه تهيئة لطول نفس الشاعر وتنشيط لنفس المستقبل، وقد تضمن معنى الطّلب والدّعوة إلى الإصغاء كاشفاً عن إعجابه بالمخاطب كتمهيد للدخول في الموضوع.

وانظر هداك الله ماذا ينتظر *** من أمة قد شلّ نصفها الخدر

وانظر فقد يهديك للخير النّظر *** وخذ من الدهر تجاريب العبر

عبر الأمر عن إلحاحه في تحقيق مطلبه، بأسلوب متدفق ليبقى صوته هو المسيطر بأسلوب مباشر تطغى عليه نبرة الوعظ، بلغة بسيطة وتعابير صادقة تثير المشاعر الإنسانية.

5. خاتمة: استطاع الابراهيمي أن يوفق بين الجانبين العقلي والفني في القصيدة، ممّا ميزها بسمّة الإقناع خاصّة وأنها أقيمت أمام حشد من كبار العلماء، ومن أهم نتائج هذه الدراسة:

-وثق النصّ الصّلة بين جوانب التّعليم والاجتماع والسياسة بالتّحسيس بخطورة جهلها الذي سيؤدي إلى ضياع صورة الإنسان فيه وتعطيل قدراته ككائن فاعل في المجتمع والتأكيد على أهميّة ضرورة تعليم المرأة لبناء مجتمع ناجح؛

-تفرع النصّ إلى وحدات متدرجة ومتكاملة توزعت حسب الهدف المرسوم في ذهن الشّاعر، بوحدة موضوعيّة، إذ كل فقرة تمهد للأخرى، ممّا ساعده على النّجاح في استثارة المتلقي؛

-استند الشّاعر في كثير من الأحيان لأساليب الوعظ والتّرهيب والتّريغ بسبب الرّؤية الإصلاحية للنص؛

-استغل الشّاعر إمكانياته اللغويّة البلاغيّة (بيان، بديع) كوسائل للتأثير في المتلقي، فشكّلت الصّور البيانيّة مع التّوازي والمحسنات البديعيّة تماسك النصّ وتدفق المعنى، ممّا ارتقى بالنّص الشّعري وأكسبه قيما فنيّة ساعدت على الحجّة؛

-وكمقترح أدعو إلى ضرورة الاهتمام بالمنتوج الأدبي للعلامة "محمد البشير الإبراهيمي" من طرف الأكاديميين خاصة الجانب الشعري فهو رغم قلته إلا أنه يتسم بالفنية العالية.

6. قائمة المراجع:

1. -أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي (1952-1954) (لبنان دار الغرب الإسلامي، 1997م).
2. -تركّي رابح: الشّيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته، وجهوده في التّربية والتّعليم الجزائر، " (ش.و.ن.ت، د.ت).
3. -جريدة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، (الجمعة 21 ربيع الثّاني سنة 1379هـ).
4. -حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (لبنان، دار الغرب الإسلامي 1981م).
5. -الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشّعْر ونقده، (مصر مكتبة الخانجي 2000م).
6. -أبو حيان التّوحّيدي: الإمتاع والمؤانسة، (مصر، مؤسّسة هنداوي 2019م).
7. -سعيد بوكرامي: بلاغة الخطّاب الإقناعي.. المودن أنموذجاً، موقع: عكاظ أن تكون أوّلاً، (27/11/2015) (<https://www.okaz.com.sa/article/1030349>)، اطلع عليه يوم: 2023/02/22م).
8. -عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، (لبنان، دار المعرفة، 1978م).
9. -عبد الرّحمان القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، (لبنان، دار الجيل د.ت).
10. -عبد الرّحمان حسن حنّكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (سوريّة، دار القلم، 2002م).
11. -عبد الله خليف خضير عبيد الحياني: التّوازي التّركيبي في القرآن الكريم ماجستير تخصّص القرآن والتّفسير، إشراف: هاني صبري علي آل يونس كليّة التّربية، (جامعة الموصل-العراق، 2004م).
12. -أبو الفضل جمال الدّين، ابن منظور: لسان العرب، (مصر، دار المعارف د.ت).
13. -أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الصّناعتين (الكتابة والشّعْر) (مصر، دار إحياء الكتب العلميّة، 1952م).
14. -محمّد الطّاهر بن عاشور: موجز البلاغة، (تونس، المطبعة التّونسيّة نهج سوق البلاط، د.ت).

15. -محمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم: معجم مصطلحات العروض والقافية (الأردن دار البشير، 1994م).
 16. -مجموعة من العلماء: الدرر السنية في الأجوبة النجدية مجموعة رسائل ومساءل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا (المملكة العربية السعودية، 1420هـ).
 17. Dictionnaire de L'Académie française -(5^{ème} Editions eBooks, France, 1978).
 18. Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,(Paris- France Éditions du Seuil, 1972).
7. هوامش:

- ¹ - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (لبنان، دار الغرب الإسلامي 1981م) ص: 62.
- ² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 100-101.
- ³ - ينظر: أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور: لسان العرب، (مصر، دار المعارف د.ت) ص ص: 371-372.
- ⁴ - أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، (مصر دار إحياء الكتب العلمية، 1952م)، ص: 06.
- ⁵ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، (تونس، المطبعة التونسية نهج سوق البلاط د.ت)، ص: 03.
- ⁶ -Vu: Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,(Paris- France, Éditions du Seuil, 1972),P:99-101-102. Le texte original: «la rhétorique est avant tout une technique qui doit permettre à celui qui la possède d'atteindre, à l'intérieur d'une situation discursive, le but désiré; elle a donc un caractère pragmatique : convaincre l'interlocuteur de la justesse d'une cause. ... D'une manière qui fait du texte, ce qui l'oblige à connaître les propriétés du discours».
- ⁷ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ص ص: 406-407.
- ⁸ - أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1952-1954)، (لبنان دار الغرب الإسلامي، 1997م)، ص: 131.
- ⁹ -جريدة أم القرى، (المملكة العربية السعودية، الجمعة 21 ربيع الثاني سنة 1379هـ).

- ¹⁰-مجموعة من العلماء: الدّرر السنّية في الأجوبة النّجديّة مجموعة رسائل ومساءل علماء نجد الأعلام من عصر الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، (المملكة العربيّة السّعوديّة، 1420هـ)، ص ص: 71-74.
- ¹¹-المرجع نفسه، ص ص: 78-80.
- ¹²-المرجع نفسه، ص: 83.
- ¹³-أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي (1952-1954) ص: 131.
- ¹⁴-المصدر نفسه، ص: 131-132.
- ¹⁵-المصدر نفسه، ص: 132، 133.
- ¹⁶-المصدر نفسه، ص: 133.
- ¹⁷-المصدر نفسه، ص: 133.
- ¹⁸-المصدر نفسه، ص: 170.
- ¹⁹-المصدر نفسه، ص: 133، 134.
- ²⁰-المصدر نفسه، ص: 134.
- ²¹-ينظر: تركي رابح: الشّيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته، وجهوده في التّربيّة والتّعليم الجزائري، ("ش.و.ن.ت، د.ت)، ص: 329-335.
- ²²-أبو حيان التّوحّيدي: الإمتاع والمؤانسة، (مصر، مؤسّسة هنداوي، 2019م)، ص: 338.
- ²³-سعيد بوكرامي: بلاغة الخطاب الإقناعي.. المودن أنموذجاً، موقع: عكاظ أن تكون أولاً <https://www.okaz.com.sa/article/1030349>، (2015/11/27م)، اطلع عليه يوم: 2023/02/22م).
- ²⁴-ينظر: محمّد علي الشّوابكة وأنور أبو سويلم: معجم مصطلحات العروض والقافيّة (الأردن، دار البشير، 1994م)، ص: 48.
- ²⁵-ينظر: الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشّعْر ونقده، (مصر، مكتبة الخانجي، 2000م)، ص: 278.

²⁶-ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، (لبنان، دار المعرفة، 1978م)، ص
ص: 49، 50.

²⁷-عبد الرّحمان القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، (لبنان، دار الجيل، د.ت)
ص: 07.

²⁸-سعيد بوكرامي: بلاغة الخطاب الإقناعي.. المودن أنموذجا.

²⁹-ينظر: عبد الرّحمان حسن حنبكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة
(سوريّة، دار القلم، 2002م)، ص: 227.

³⁰-Vu: Dictionnaire de L'Académie francai .-(5^{ème}, Editions eBooks, France 1978) p:
2258. Le texte original: «PARALLÈLE: Terme de Géométrie, qui se dit d'une ligne
ou d'une surface également distante d'une autre ligne ou d'une autre surface dans
toute son étendue.»

³¹-ينظر: عبد الله خليف خضير عبيد الحياني: التّوازي التّركيبي في القرآن الكريم
ماجستير، تخصص القرآن والتّفسير، إشراف: هاني صبري علي آل يونس، كليّة التّربيّة
(جامعة الموصل-العراق، 2004م)، ص: 02.

³²-أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي (1952-1954)
ص: 133.

³³-المصدر نفسه، ص: 132.